

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بلوغ المرام من كتاب نظام الإسلام

(ح78) كتاب: "طه حسين مفكرا" (ج1)

الحمدُ لله ذي الطَّوْلِ وَالْعَامِ، وَالْفَضْلِ وَالْإِكْرَامِ، وَالرُّحْنِ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَالْعِزَّةِ الَّتِي لَا تُرَامُ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْأَنْامِ، حَاتِمِ الرُّسُلِ الْعِظَامِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْكِرَامِ، الَّذِينَ طَبَقُوا نِظَامَ الْإِسْلَامِ، وَالتَّزَمُوا بِأَحْكَامِهِ أَيَّمَا التَّزَامِ، فَاجْعَلْنَا اللَّهُمَّ مَعَهُمْ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِمْ، وَتَبِّتْنَا إِلَى أَنْ نَلْقَاكَ يَوْمَ تَرُلُّ الْأَقْدَامُ يَوْمَ التَّرْحَامِ.

أيها المؤمنون:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَبَعْدُ: نَتَابِعُ مَعَكُمْ سِلْسِلَةَ حَلَقَاتِ كِتَابِنَا "بلوغ المرام من كتاب نظام الإسلام" وَمَعَ الْحَلْقَةِ الثَّامِنَةِ وَالسَّبْعِينَ، وَعُنْوَانُهَا: "كِتَابُ طَه حُسَيْنِ مُفَكِّرًا". نَتَأَمَّلُ فِيهَا مَا جَاءَ فِي الصَّفَحَتَيْنِ: الرَّابِعَةَ وَالسَّتِينَ، وَالْحَامِسَةَ وَالسَّتِينَ مِنْ كِتَابِ "نِظَامِ الْإِسْلَامِ" لِلْعَالِمِ وَالْمُفَكِّرِ السِّيَاسِيِّ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ النَّبَهَائِيِّ.

يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَمَّا الْحَضَارَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فَإِنَّهَا تَقُومُ عَلَى أَسَاسٍ هُوَ التَّقْيِضُ مِنْ أَسَاسِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَتَصْوِيرُهَا لِلْحَيَاةِ غَيْرُ تَصْوِيرِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَهَا، وَمَقْهُومُ السَّعَادَةِ فِيهَا يَخْتَلِفُ عَنِ مَقْهُومِهَا فِي الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ كُلِّ الْاِخْتِلَافِ".

وَنَقُولُ رَاجِينَ مِنَ اللَّهِ عَفْوَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَرِضْوَانَهُ وَجَنَّتَهُ: فِي هَذِهِ الْحَلْقَةِ نَتَابِعُ مَعَكُمْ حَدِيثَنَا الَّذِي كُنَّا قَدْ بَدَأْنَاهُ عَمَّا كَتَبَهُ الدُّكْتُورُ عَبْدُ الْمَجِيدِ عَبْدُ السَّلَامِ الْمُحْتَسِبُ. فِي كِتَابِهِ "طَه حُسَيْنِ مُفَكِّرًا؟" فَهُوَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مِنَ الْمَتَأَثِّرِينَ بِفِكْرِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ النَّبَهَائِيِّ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَوْضُوعِ "الْحَضَارَةِ وَالْمَدِينَةِ"، يَتَقُولُ الْمُؤَلِّفُ فِي الصَّفَحَتَيْنِ: التَّاسِعَةَ وَالسَّبْعِينَ، وَالثَّمَانِينَ: "... وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَمَا فَتَحُوا مِصْرَ، وَنَشَرُوا الْإِسْلَامَ فِيهَا لَمْ تَكُنْ عِلَاقَتُهُمْ بِأَهْلِهَا عِلَاقَةَ السَّيِّدِ بِالْعَبْدِ، بَلْ عِلَاقَةُ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَحْمِلُ الرُّقْبَةَ الْفِكْرِيَّةَ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، بِالْإِنْسَانِ الَّذِي انْحَطَّتْ أَفْكَارُهُ، وَصَارَ تَائِبًا، دُونَ إِكْرَاهٍ فِي الدِّينِ. صَحِيحٌ أَنَّ الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ نَمَتْ وَزَهَتْ حَتَّى أَضْحَتْ أَبْهَى عَوَاصِمِ الْعَالَمِ تِجَارِيًّا وَثَقَافِيًّا، وَكَانَتْ مَنَارَةً فِكْرِيَّةً تَنْبَعُ مِنْهَا الْعُلُومُ وَالْفَلَسَفَةُ إِلَى سَائِرِ أَنْحَاءِ الشَّرْقِ، وَلَكِنَّ الْمِصْرِيِّينَ لَمْ يُشَارِكُوا فِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْفَلَسَفِيَّةِ. وَمُعْظَمُ الَّذِينَ نَبَعُوا فِي جَامِعَةِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ كَانُوا أَعَارِفَةً. أَيْ أَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ وَالْفَلَسَفَةَ الَّتِي ازْدَهَرَتْ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ كَانَتْ نَتَاجَ عُقُولِ السَّادَةِ الْإِغْرِيْقِيَّةِ، وَلَمْ نَسْمَعْ أَنَّ مِصْرِيًّا وَاحِدًا نَبَعَ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ وَالْفَلَسَفَةِ. أَمَّا مَوْقِفُ الْمِصْرِيِّينَ مِنَ الْأَفْكَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَمُخْتَلِفٌ عَنِ مَوْقِفِهِمْ مِنَ الْأَفْكَارِ الْإِغْرِيْقِيَّةِ، وَالثَّقَافَةِ الْإِغْرِيْقِيَّةِ، فَقَدْ تَبَنَّاها مُعْظَمُهُمْ، وَشَارِكُوا فِي هَضْمِهَا وَشَرْحِهَا، وَالتَّالِيفِ فِيهَا. وَأَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْأَرْهَرَ الشَّرِيفَ مِنْذُ أَكْثَرَ

من ألف سنة يقوم بتدريس الفقه الإسلامي واللغة العربية. الأفكار الإسلامية ينبثق عنها نظام من جنسها، ساعدت به البشرية: نظام الحكم، النظام الاقتصادي، النظام الاجتماعي، نظام العقوبات. وماذا نتج لنا الأفكار الإغريقية الوثنية من أنظمة؟ لم نسمع أن الأفكار الإغريقية الوثنية أنتجت نظاماً شاملاً متكاملًا.

وإذا صح قولي، وهو صحيح على أية حال، فهل أكون غاليًا إذا وصفت طه حسين بالتضليل، وتشويه الحقائق، وتزوير التاريخ فيما ذهب إليه؟ وطه حسين لم يكتب بالترويج للحضارة العربية، والأفكار الرأسمالية السائدة في مصر، وسائر بلاد المسلمين بالمقدار الذي أرادته المستعمرون، بل تراه يشدد على وجوب الإيغال في الأخذ بكل أسباب الحضارة الغربية، ولا في المظاهر الكاذبة، والأوضاع الملقمة، وإنما هي واضحة بينة مستقيمة، ليس فيها عوج ولا تواء. وهي واحدة فذة ليس لها تعدد، وهي أن نسير سيرة الأوروبيين، ونسلك طريقهم؛ لنكون هم أندادا، ونكون لهم شركاء في الحضارة: خيرها وشرها، حلوها ومزها، ما يحب منها وما يكره، وما يحمدها منها وما يعاب. ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع. والعرب أنا نسير هذه السيرة، ونذهب هذا المذهب في حياتنا العملية اليومية، ولكننا نكر ذلك في ألساننا وعقائدينا، ودخائل نفوسنا، فننورط في نفاق بغيض، لا نستطيع أن أسيغه، ولا أن أسكن إليه. إن كنا صادقين فيما نعلن ونسبر من بعض الحياة الأوروبية فما يمنعنا أن نعدل عنها غدولاً، ونصد عنها صدوداً، ونطرحها طراحاً، وإن كنا صادقين فيما نقدم عليه كل يوم، وفي كل ثني من أثنائ حياتنا العملية من تقليد الأوروبيين ومجازاتهم، فما يمنعنا أن نلائم بين أقوالنا وأعمالنا، وبين آرائنا وسيرتنا، فإن هذا التناق لا يليق بالذين يكرهون أنفسهم، ويريدون أن يرتفعوا بها عن النقايس والدننات". انتهى كلام طه حسين.

يقول الدكتور عبد المجيد المحتسب معقباً على كلامه: "وحتى تتضح حطوره ما يدعو إليه طه حسين ويروج له، ويناشد الأمة أن توغل في الأخذ بأسبابه أرى لزاماً علي أن أحدد مفهوم الحضارة والمدنية، فأقول: إن الحضارة هي مجموع المفاهيم والفناعات الأساسية والفرعية عن الحياة. والحضارة الإسلامية تقوم على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وباليوم الآخر، وبالفضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى. ووجود المساجد في ديار الإسلام، ومشاعر الحج حول البيت العتيق، ومنع الربا أو المصارف الربوية، وإيجاد خليفة واحد يحكم المسلمين بالإسلام في ديار الإسلام، والجهاد في سبيل الله، ومنع الاختلاط بين الذكور والإناث، وكون المرأة ربة بيت، وعرضاً يحب أن يصاب، وغير هذه المفاهيم التي يحملها المسلم المستنير عن الحياة تعد من الحضارة الإسلامية.

<p>شركة في الحضارة ، عبرها وشرها ، حلوها وصرفها ، وما نعب منها وما يكتمه ، وما يتخذ منها وما يعاب . ومن زعم أن غير ذلك فهو ضال أو ضال . والغريب أن سير هذه الشربة والذهب هذا للقلب في حياتنا العملية اليومية ، ولكننا نكرر ذلك في المناسبات وعطائنا ونعاني نفوسا ، فنسوق في غفلة بغيب لا نستطيع أن نبيد ولا أن نسكن إليه . إن كنا صادقين فما نحن وألسن من نفس الحياة الأوروبية فما نعبنا أن نعالج عنها عدونا ولا ونفسا عنها عدونا ونظريتها انحرافا ؟ وإن كنا صادقين فما نقدم عليه كل يوم وفي كل شيء من أداء حياتنا العملية من تقليد الأوروبيين وإجرائهم فما نعبنا أن نلتمس بين القرابة وأعدائنا وبين آرائنا وسيرتنا ، فإن هذا التناقض لا يبين بالبين يتكبرون أنفسهم ويريدون أن يرتفعوا بها عن الناس والدينيات .^(١)</p> <p>وحسب لتفتيح النظرة ما كان يدعو إليه طه حسين ويرجع له وينتقد إلا أنه أن تفرق في الأقطاب ما ترى لزاما على أن تعدد مفهوم الحضارة والدينية ، فأقول : إن الحضارة هي مجموع التقاليد والقواعد الأساسية والفرعية من الحياة .</p> <p>والحضارة الإسلامية تقوم على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدار خيره وشره من الله تعالى .</p> <p>ووجود المساجد في ديار الإسلام ، وإيجاد خليفة واحد يحكم المسلمين بالإسلام في ديار الإسلام ، والجهاد في سبيل الله ، ومع الاختلاف بين الدول والإمامات ، وكون الخلافة ربة بيت وحرصا على أن يمتنع غير هذه التقاليد التي يجعلها المسلم المستقيم عن الحياة تعدد من الحضارة الإسلامية .</p> <p>(١) مقال القناني في عصر طه حسين ، ص ١١٤ .</p>	<p>طه حسين مصفورا</p>  <p>الشيخ الاستاذ عبد الحميد عبد السلام المحمدي دار إحياء التراث العربي</p>	<p>الذكور وهو الإسلام بالإيمان الذي أعطت أفكاره وصار تائها دون إكراه في الدين . صحيح أن الاسكندرية نشأت وازدهرت حتى أصبحت أبهى مواسم العالم تجاريا وثقافيا ، وكانت مارة فكرية تبثت منها العلوم والفلسفة إلى سائر أنحاء الشرق . ولكن المصريين لم يشاركوا في هذه الحركة العلمية والفلسفية . ومعظم الذين تعلموا في جامعة الاسكندرية كانوا الأفارقة ، أي أن هذه العلوم والفلسفة التي ازدهرت في الاسكندرية كانت تخرج حلول السادة الأفارقة . ولم نسمع أن مصرية واحدة أتت في هذه العلوم والفلسفة . لذا موقف المصريين من الأفكار الإسلامية والثقافة الإسلامية لمختلف من موقفهم من الأفكار الإغريقية والثقافة الإغريقية . فقد تبعوا معهم وشاركوا في فلسفتها وشرحيها والتأليف فيها . وأكبر دليل على ذلك أن الأثر الشريف منذ أكثر من ألف سنة يقوم بتدريس الفقه الإسلامي والفقه العربي . الأفكار الإسلامية الأساسية يبين عنها نظام من حيثها سمعت به البشرية ، نظام الحكم ، نظام الاقتصاد ، نظام التعليم ، نظام القوانين . ومما نتج لنا الأفكار الإغريقية الوثنية من الفلسفة ؟ لم نسمع أن الأفكار الإغريقية الوثنية أصبحت نظاما لثلاث ممالك . وإن صح قولنا ، وهو صحيح على أية حال ، قبل أن يكون غاليا إذا وصفت طه حسين بالتفصيل وتنبؤ الحقائق ووزير التاريخ لما ذهب إليه ؟</p> <p>وهو حين لم يكف بالترويج للحضارة الغربية والأفكار الرأسمالية الثلاثة في مصر وسائر بلاد المسلمين بالقدار الذي أراداه المستعمرون ، بل تراءى بتعدد على وجوب الإيمان في الأقطاب لسبب الحضارة الغربية ، يقول : « لكن السبيل إلى ذلك ليست في الكلام برؤسنا لرسلا ، ولا في الظاهر الكافية والأوضاع الثقيلة ، وإنما هي الوحدة بين مسلمة ليس فيها عرج ولا ثراء . وهي واحدة فلهذا ليس لها تعدد وهي : أن تسير عبرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لتكون لهم أممات ، وتكون لهم</p> <p>٧٩</p>
--	---	---

وَالْحَضَارَةُ الْعَرَبِيَّةُ أَوْ الرَّأْسَمَالِيَّةُ تَقُومُ عَلَى أَسَاسِ فَضْلِ الدِّينِ عَنِ الْحَيَاةِ أَوْ السِّيَاسَةِ بَعْدَ عَمَلِيَّةِ الصِّرَاحِ الْمُرِيرِ الدَّائِمِيِّ بَيْنَ رِجَالِ الدِّينِ، وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْبَابَا مِنْ جِهَةٍ، وَبَيْنَ رِجَالِ السُّلْطَةِ الرَّيْمِيَّةِ "أَيِ الْحُكَّامِ" وَالْمُكْرِمِينَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. وَعَلَى أَسَاسِ فِكْرَةِ فَضْلِ الدِّينِ عَنِ الْحَيَاةِ قَامَتِ الْحُرِّيَّاتُ الْأَرْبَعُ: حُرِّيَّةُ الرَّأْيِ، وَحُرِّيَّةُ الْعَقِيدَةِ، وَحُرِّيَّةُ الْمَلِكِ، وَالْحُرِّيَّةُ الشَّخْصِيَّةُ، وَعَلَى أَسَاسِ حُرِّيَّةِ الْمَلِكِ قَامَ النَّظَامُ الْاِقْتِصَادِي الرَّأْسَمَالِي، فَسُجِّي الشَّيْءُ كُلُّهُ بِأَبْرَزِ مَا فِيهِ.

أَمَّا الْمَدِينَةُ فَهِيَ مَجْمُوعُ الْأَشْكَالِ الْمَادِيَّةِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي الْحَيَاةِ مِنَ الْمَلْعَقَةِ وَالسِّيَّارَةِ وَالطَّائِرَةِ وَالصَّارُوخِ وَالْمَدَائِعِ وَالذَّبَابَاتِ وَالْمَدْرَعَاتِ وَالتَّرَاكُورِ، وَكُلِّ الْمَخْتَرَعَاتِ وَالْمَصْنُوعَاتِ. وَهُنَاكَ مَدِينَةٌ مُرْتَبِطَةٌ بِمَفَاهِيمِ عَنِ الْحَيَاةِ، فَالْهَنْدَسَةُ عِلْمٌ، وَلَكِنْ كَوْنُ النَّوَاذِفِ وَاسِعَةً مُنْخَفِضَةً، تُبْرِزُ سُكَّانَ الْمَنْزِلِ مُبَاحٌ فِي الْحَضَارَةِ الرَّأْسَمَالِيَّةِ لِأَنَّهَا مُرْتَبِطَةٌ بِالْحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ، وَمُحْرَمٌ فِي الْحَضَارَةِ الْاِسْلَامِيَّةِ، لِأَنَّ الْحُرِّيَّةَ فِي الْاِسْلَامِ مُقَيَّدَةٌ بِالشَّرْعِ؛ وَلِذَلِكَ تَكُونُ النَّوَاذِفُ فِي بُلُوتِ الْمُسْلِمِينَ، وَسَائِرِ رَعَايَا الدَّوْلَةِ الْاِسْلَامِيَّةِ عَالِيَةً سَاتِرَةً. وَالْعِلْمُ عَامٌ لِكُلِّ أَهْلِ الْأَرْضِ، أَمَّا الْحَضَارَةُ وَالْاِفْكَارُ فَخَاصَّةٌ، وَالْعِلْمُ فِي رُوسِيَا وَأَمْرِيكَا وَبَرِيطَانِيَا وَالصِّينِ وَاحِدٌ. لَكِنَّ الْحَضَارَةَ فِي رُوسِيَا وَالصِّينِ غَيْرُ الْحَضَارَةِ فِي أَمْرِيكَا وَبَرِيطَانِيَا. وَالْاِسَاسُ الَّذِي تَقُومُ عَلَيْهِ الْحَضَارَةُ الْعَرَبِيَّةُ فَاسِدٌ هَزِيلٌ. وَمَا بُنِيَ عَلَى الْفَاسِدِ فَهُوَ فَاسِدٌ.

أيها المؤمنون:

نَكْتَفِي بِهَذَا الْقَدْرِ فِي هَذِهِ الْحَلْفَةِ، وَلِلْحَدِيثِ بَقِيَّةٌ، مَوْعِدُنَا مَعَكُمْ فِي الْحَلْفَةِ الْقَادِمَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَإِلَى ذَلِكَ الْحِينِ وَإِلَى أَنْ نَلْقَاكُمْ وَدَائِمًا، نَتَرَكُّكُمْ فِي عِنَايَةِ اللَّهِ وَحِفْظِهِ وَأَمْنِهِ، سَائِلِينَ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُعَزِّنَا بِالْاِسْلَامِ، وَأَنْ يُعَزِّزَ الْاِسْلَامَ بِنَا، وَأَنْ يُكْرِمَنَا بِنَصْرِهِ، وَأَنْ يُقَرِّرَ أَعْيُنَنَا بِقِيَامِ دَوْلَةِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ

الثَّانِيَةَ عَلَيَّ مِنْهَاجِ النَّبُوَّةِ فِي الْقَرِيبِ الْعَاجِلِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ جُنُودِهَا وَشُهَدَائِهَا، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ
وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. نَشْكُرُكُمْ عَلَى حُسْنِ اسْتِمَاعِكُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.